تعاون الدعاة وأثره في المجتمع

فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد..

أيها الإخوة! إن موضوع الرسالة، كما هو معلوم للجميع أو لأكثرهم هو: "تعاون الدعاة وأثره في المجتمع" ولا شك أن الدعوة إلى الله لها مرتبة عظيمة في شريعة الله، فإن الله – سبحانه وتعالى – قال في كتابه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قولا أمره أن يبلغه إلى الأمة أمرا خاصا، فقال: {قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} (يوسف: ١٠٨)

والنبي صلى الله عليه وسلم مأمور أن يقول بكل القرآن، أن يبلغ كلام الله إلى عباد الله، ولكن إذا كان الأمر ذا أهمية، فإن الله –تعالى –يوجه أمرا خاصا إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ليقوم بتبليغه إلى الأمة، ولهذا أمثلة في كتاب الله مثل هذه الآية التي تلوت، ومثل قوله تعالى: {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم..وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن} ومثل قوله تعالى: {قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب} وغير هذه الآيات كثير، لكن المهم أنه ينبغي أن نعلم أن الله إذا صدر الأمر

بالقول إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإن ذلك يقتضي عناية خاصة فيما وقع فيه هذا القول...

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {قل هذه سبيلي} والمشار إليه هو المستفاد من قوله: {أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} فالنبي صلى الله عليه وسلم، كإخوانه من سائر النبيين والمرسلين، تبوؤا هذا المقام العالي العظيم، وهو مقام الدعوة إلى الله .. لكنها دعوة على بصيرة فيما يدعون إليه .. وعلى بصيرة في حال من يدعونهم .. وعلى بصيرة في أسلوب الدعوة .. لابد من هذه البصائر الثلاث.

البصيرة فيما يدعون إليه، والبصيرة في حال المدعو. والبصيرة في أسلوب الدعوة، وإذا تمت هذه الأمور الثلاثة؛ صارت الدعوة دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، وإذا اختل منها واحد؛ نقص من كمالها بقدر ما اختل من هذه الأمور الثلاثة يقول الله تعالى في هذه الآية: {على بصيرة أنا ومن اتبعني}.

فكل من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لا يُكتفى باتباعه، أن يقوم بالعبادات الخاصة. من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج وبر والدين، وصلة رحم، بل لابد أن يكون داعية إلى الله – سبحانه وتعالى – بحاله ومقاله .. ولا بد أن يكون أيضا داعية إلى الله على بصيرة .. بحال من يدعوهم ..؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن، قال له: "إنك ستأتي قوما أهل كتاب.."[1] وأخبره بحالهم؛ ليكون مستعدا لملاقاتهم .. حتى ينزل كل إنسان منزلته، ولا ريب أن كل إنسان عاقل .. يعلم الفرق بين دعوة الإنسان الجاهل، ودعوة الإنسان المعاند المكابر، ولهذا قال الله تعالى {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم} (العنكبوت: ٤٦)، فالذين ظلموا لا نجادلهم بالتي هي أحسن، وإنما نجادلهم بما يليق بحالهم، وظلمهم، ولا بد أن يكون الداعية عالما بأسلوب الدعوة .. وكيف يدعو الناس .. وهذا أمر مهم جدا، بالنسبة للدعاة.. كيف يدعون الناس؟ هل يدعون الناس بالعنف،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم (١٩).

والشدة، والقدح فيما هم عليه، وسب ما ينتهجونه؟! أو يدعون الناس باللين والرفق، وتحسين ما يدعونهم إليه دون أن يقبحوهم فيما هم عليه من منهج وسلوك؟ نستمع إلى ما يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بل لعباده، ولجميع المؤمنين: {ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم} (الأنعام: ١٠٨).

نحن نعلم جميعا أن سب آلهة المشركين أمر مطلوب؛ لأنها آلهة باطلة، كما قال الله تعالى: {ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل} (الحج: ٦٢)

وسب الباطل وبيان منزلته للناس أمر مطلوب لا بد منه .. ولكن إذا كان يترتب على ذلك مفسدة أكبر، مع إمكان زوال الباطل بدون هذه المفسدة .. فإن الله يقول: {ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم} ومعلوم أنهم إذا سبوا الله فإنهم يسبونه عدوا بغير علم، بل نعلم أن الله عز وجل منزه عن كل عيب، ونحن إذا سببنا آلهتهم، فقد سببناها بحق، ومع ذلك نهى الله عز وجل عن هذا الحق خوفا من هذا الباطل العادي؛ لأنه شر، وبناء على ذلك فإذا رأى الداعية شخصا على أمر يرى هذا الداعية أنه باطل، وصاحبه يرى أنه حق، فليس من طريق الدعوة التي أرشد الله إليها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقدح فيما هو عليه، من مذهب أو نحلة؛ لأن ذلك ينفره، وربما يؤدي إلى أن يسب ما أنت عليه من الحق؛ لأنك سببت ما هو عليه من الباطل الذي يعتقده حقا، ولكن الطريق: أن أبين له الحق، وأشرحه له؛ لأن كثيرا من الناس، ولا سيما المقلدون، قد يخفى عليهم نور الحق .. بما غشيهم من الهوى والتقليد، لذلك أقول: يبين الحق ويوضح، ولا شك أن الحق تقبله الفطر السليمة؛ لأنه دين الله وشرعه .. فلا بد أن يؤثر هذا الحق ... أن يؤثر في المدعو .. لا أقول: إنه يؤثر في الحال؛ لأن هذا قد يكون من الأمور الصعبة .. لكن قد يؤثر ولو بعد حين .. قد يفكر هذا المدعو فيما دعي إليه، مرة بعد أخرى حتى يتبين له الحق، فالمهم أن الداعية لابد أن يكون ذا بصيرة بما يدعو إليه في الأسلوب الذي يدعو إليه الناس؛ لأن هذا أمر مهم بالنسبة لقبول الدعوة ورفضها .. ولا يخفى علينا جميعا ما وقع للنبي صلى الله عليه

وسلم في كيفية الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – بالتي هي أحسن، لا يخفى علينا قصة الأعرابي الذي جاء فبال في طائفة من المسجد – فزجره الناس وأنكروا عليه، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "دعوه ولا تزرموه ..."[١].

فلما فرغ من بوله .. أمر النبي صلى الله عليه وسلم بما تزول به هذه المفسدة، وهي أن يصب عليه ذنوب من ماء، أي: دلو أو شبهه، ثم دعا الأعرابي، وقال له: "إن هذه المساجد، لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله – عز وجل – والصلاة، وقراءة القرآن"[٢]. أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

فتأمل هذه الدعوة إلى الحق بهذا الأسلوب .. ماذا تتصور من حال هذا الأعرابي الذي دعاه الرسول – عليه الصلاة والسلام – إلى تعظيم المساجد .. بهذا الأسلوب اللين السهل، إنك لن تتصور إلا أن هذا الأعرابي سيقبل وسيطمئن وسيرتاح، وسيجد الفرق بين ما قام به الصحابة – رضي الله عنهم – من الزجر، وما قام به النبي صلى الله عليه وسلم من التعليم الهادئ، الذي ينشرح فيه الصدر، ويطمئن به القلب ..

إنه يجب على الداعية أيضا أن يكون هو أول من يتخلق بما يدعو إليه .. لأنه إذا كان يدعو إلى حق، فإن من الحمق البالغ أن يخالف ذلك الحق، وإن كان يدعو إلى باطل، فإن ذلك أشد وأقبح، أن يدعو الناس إلى الضلال، وإلى الشر، فحال الداعية إذا كانت مخالفة لدعوته، لا شك أنه مؤثر في دعوته في ألا تقبل، فإن الناس ينظرون إلى الدعاة غير نظرهم إلى سائر الناس، إذا رأوا الداعية يدعو إلى شيء، ولكنه لا يقوم به، فسيكون عندهم شك فيما دعا إليه، أهو حق أو باطل؟! لأنه سيقول المدعو: إذا كان حقا فلماذا لا يفعله .. وحينئذ يقل قبول الناس له .. مع ما يلحقه من الإثم

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، رقم (٦٢٠٥)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات، رقم (٢٨٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب غسل البول وغيره من النجاسات، رقم (٢٨٥).

العظيم في كونه يدعو ولكنه لا يفعل، يقول الله تعالى منكرا على بني إسرائيل: {أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون} (البقرة: ٤٤)

إذن .. فليس من العقل أن يأمر الإنسان غيره بالبر وينسى نفسه .. لأنه إذا كان برا، فليكن هو أول من يدعو إليه، هو أول من ينفذه، هو أول من يقوم به، حتى يكون داعية للناس بمقاله وبحاله ..

ومما يجب على الداعية أن يكون بصيرا بما يدعو إليه، فلا يتكلم إلا بما يعلم أنه الحق، أو بما يغلب على ظنه أنه الحق، إذا كان هذا الشيء الذي يدعو إليه مما يسوغ فيه الظن، أما أن يدعو بجهل؛ فإنه يهدم أكثر مما يبني، مع أنه آثم إثما كبيرا، يقول الله سبحانه وتعالى: {ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا} (الإسراء: ٣٦) لا تتبع شيئا لا علم لك به؛ لأنك مسؤول.

ويقول – عز وجل – : {قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون} (الأعراف: ٣٣)

ونحن نسمع عن بعض الدعاة، أنهم يدعون إلى أمر يجانبون فيه الصواب .. ونعلم – أو يغلب على ظننا – أنهم لم يدعو إلى هذا الشيء عن علم واختيار منهم له .. ولكنه عن جهل .. فيحصل بذلك مفسدتان عظيمتان..

المفسدة الأولى: قبول هذا الباطل الذي دعا إليه هذا الداعية، عن غير علم.

المفسدة الثانية: رد الحق المبني على العلم، كما نشاهد أو نسمع عن بعض الناس في تحريم أشياء ليس لديهم برهان من الله على تحريمها، أو إيجاب أشياء ليس عندهم فيها برهان من الله على إيجابها، فإذا سمع العامة هذا الداعية يقول بهذا وهم يحسنون الظن به .. ردوا الحق الذي عند غيره، وقبلوا هذا الباطل، وعلى سبيل المثال لا الحصر، نسمع من يقول: إنه لا يجوز استعمال آلات التسجيل، ولماذا؟ قال: لأن هذا ليس موجودا

على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فهل هذا الدليل الذي استدل به، هل له وجه في استدلاله به؟

الجواب عليه: ليس له وجه، وذلك لأن هذا ليس من الأمور التعبدية .. حتى نقول إنه إذا لم يثبت شرعيته فهو مردود، بل هو من أمور الوسائل المباحة على الأصل؛ لأن الأصل فيما عدا العبادات الأصل فيه الإباحة.

والأصل في الأشياء حل وامنع عبادة إلا بإذن الشارع

الأصل فيما عدا العبادات هو الحل، ثم هذا الشيء الذي حكمنا بحله .. قد يكون وسيلة إلى أمر مطلوب فيكون مطلوبا، وقد يكون وسيلة إلى أمر منكر فيكون منكرا، فآلات التسجيل مثلا، إذا سجل فيها الخير، فلا شك أنها خير، وفي عهد الرسول – عليه الصلاة والسلام – كانوا يسجلون القرآن بالكتابة .. وهذه وسيلة، أما الآن فنسجل بالكتابة، ونسجل بالصوت، وهذه وسيلة.

من نعم الله علينا (فيما أرى)، كم حفظ فيها من العلم، وكم استفاد منها السامع، فكيف يمكن لداعية أن يقوم ويقول للناس: إن هذا أمر منكر، هذا أمر بدعة، هذا أمر لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو أننا سلكنا هذا المسلك؛ لألغينا كثيرا من الأمور التي فيها مصالح ظاهرة للمسلمين، أمثال ذلك كثير، ولا أحب أن أطيل بها، لكن الذي أريد أن أؤكد عليه، هو أنه يجب على الداعية أن يكون بصيرا في دين الله عز وجل، حتى لا يدعو إلى منكر وهو لا يعلم، أو لا يحذر من معروف وهو لا يعلم، والحمد لله الشيء الذي لا تدعو إليه اليوم وتؤجله إلى الغد بعد أن تتأمل في النصوص والأدلة خير لك من أن تتعجل وتقول فيما لا تعلم، هذه مسائل عامة بالنسبة للداعية أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه، وفي حال من يدعوهم، وفي أساليب الدعوة.

ومما يجب أن يكون عليه الداعية أيضا أن يكون صبورا على ما يناله من أذى قولي أو فعلي؛ لأن الداعية إلى الخير، لا بد أن يكون له أضداد، يكرهون ما يدعو

إليه، كما قال الله تعالى: {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا} (الفرقان: ٣١) كل نبي له عدو من المجرمين، لا من أجل شخصه، ولكن من أجل نبوته، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ويرسل، كان عند قريش الصادق الأمين، ولما بعث بشريعة الله؛ صار عندهم الكذاب، الساحر، الشاعر، الكاهن، المجنون، إلى آخر ما يلقبونه به من ألقاب السوء، يقول الله – عز وجل – : {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين} (الفرقان: ٣١) لماذا لشخصه، أو لنبوته؟ لنبوته فكل من أخذ بمنهاج النبي؛ فلابد أن يكون له عدو من المجرمين، وإذا كان له عدو، فلابد أن يحرص هذا العدو على إيذائه بكل ما يستطيع، من قول أو فعل، ولكن على الداعية أن يصبر، ويحتسب، ويؤمل ويرجو نصر الله – عز وجل – والعاقبة الحميدة.

ثم إن الداعية لا ينبغي أن يكون داعية لشخصه، بل يجب أن يكون داعية إلى الله، بمعنى أنه لا يهمه أن ينتصر أو أن يقبل قوله في حياته، أو بعد مماته، المهم أن ما يدعو إليه من الحق يكون مقبولا لدى الناس، سواء في حياته أو بعد موته، صحيح أن الإنسان يسر وينشط إذا قبل الحق الذي يدعو إليه في حياته، لكن إذا قدر أن الله – سبحانه وتعالى – ابتلاه ليعلم صبره من عدم الصبر، ابتلاه بعدم القبول المباشر أو السريع، فليصبر وليحتسب، وما دام يعلم أنه على الحق، فليثبت عليه، وتكون العاقبة له، خلافا لبعض الدعاة، الذين إذا سمعوا قولا يؤذيهم، أو فعل فيهم فعل يؤذيهم، نكسوا أو ترددوا أو شكوا فيما هم عليه، وقد قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين} (يونس: ٩٤).

الإنسان الداعية إذا لم يجد قبولا حاضرا ربما ينكص على عقبيه، أو يتشكك ويتردد، هل هو على حق أو ليس على حق؟ ولكن الله – سبحانه وتعالى – قد بين

الحق، وجعل للحق منارا معلوما، فإذا علمت أنك على حق فاثبت، وإن سمعت ما تكره، أو رأيت ما تكره، فاصبر فإن العاقبة للمتقين..

ومن آداب الدعاة التي يجب أن يكونوا عليها هو تعاونهم، تعاونهم فيما بينهم، لا يكن هم الواحد منهم أن يقبل قوله ويقدم على غيره، بل يكن هم الداعية أن تقبل الدعوة، سواء صدرت منه أو صدرت من غيره، ما دمت تريد أن تعلو كلمة الله، فلا يهمنك أن تكون من قبلك أو من قبل غيرك، صحيح أن الإنسان يحب أن يكون الخير على يده، لكن لا يكره أن يكون الخير على يد غيره، بل يجب أن يحب أن تعلو كلمة الله سواء على يده أو يد غيره، وإذا بنى اتجاهه على هذا، فسوف يعاون غيره في الدعوة إلى الله، وإن تقدم قبول الناس لغيره على قبولهم إياه.

الواجب على الدعاة أن يكونوا يدا واحدة، يتساعدون، ويتعاونون، ويتشاورون فيما بينهم، وينطلقون انطلاقا واحدا، ويقومون لله مثنى وثلاث ورباع {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى} (سبا: ٤٦).

وإذا كنا نرى أن دعاة الشر والسوء يجتمعون ويتحدون ويخططون، فلماذا لا يعمل الدعاة هذا العمل، حتى يرشد بعضهم بعضا فيما يخطئ فيه الآخر من علم أو وسيلة دعوة أو ما أشبه ذلك؟ ونحن إذا نظرنا إلى نصوص الكتاب والسنة؛ وجدنا أن الله – تعالى – وصف المؤمنين بأوصاف تدل على أنهم متحدون متعاونون، قال الله تعالى: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم} (التوبة: ٧١).

وقال تعالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم} (آل عمران: ١٠٤، ١٠٥).

إن الشيطان يلقي في قلب الداعية شيئا من كراهة داعية مثله إذا نجح في دعوته، لا يحب أن يكون مثله في نجاح الدعوة، بل يكره أن يتقدم هذا في النجاح، وقبول الناس له، ولهذا قال شيخ الإسلام – رحمه الله – في تفسير الحسد: إن الحسد أن تكره نعمة الله على غيرك، وإن كان معروفا عند العلماء أن الحسد تمني زوال النعمة عن الغير، بل نقول: الحسد كراهة نعمة الله تعالى على غيرك، سواء تمنيت زوالها أم لم تتمن، فأنت أيها الإنسان يجب عليك أن تعاون أخاك الداعية في دعوته، حتى وإن تقدم عليك ونجح في دعوته، ما دمت تريد أن تكون كلمة الله هي العليا، واعلموا أيها الإخوة أن دعاة السوء والشر يحبون أن يتفرق دعاة الخير؛ لأنهم يعلمون أن اتحادهم وتعاونهم سبب لنجاحهم، وأن تفرقهم سبب لفشلهم، قال الله تعالى: {ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين} (الأنفال: ٤٦).

ولا ريب أن كل واحد منا معرض للخطأ، فإذا رأينا من أحدنا خطأ؛ فلنتعاون على إزالة هذا الخطأ بالاتصال به، وبيان هذا الخطأ، وقد يكون الخطأ خطأ في ظننا، ولكنه في الواقع ليس بخطأ، فيبين لنا هذا خطأنا في ظننا أنه خطأ، أما أن نأخذ من خطئه سببا للقدح فيه، والتنفير عنه، فإن هذا ليس من سمات المؤمنين، فضلا عن كونه من سمات الدعاة إلى الله عز وجل، ولا أحد يشك أننا في هذه السنوات القريبة بدأ الشباب – ولله الحمد – ينطلق منطلقا سليما للدعوة إلى الله عز وجل، ولكن حصل فيه شيء من الخطأ، في أن بعض الشباب الآن صار ينطلق من منطلق وحده، ولا يبالي برأي غيره، بل هو معجب بما عنده من العلم والفكر، وإن كان على جانب كبير من الجهل بعلمه، والخطأ في فكره، فتجده يحتقر غيره، ولا ينصاع لما معه من الحق، حتى لو ذكر له إمام من أئمة المسلمين المشهود لهم بالعلم والدين والأمانة، قال: ومن هذا، أليس رجلا وأنا رجل؟! مع العلم بأن ما ذهب إليه مما ادعى أنه من رجولته مبني على قلة البصيرة والعلم، فتجده لا يجمع بين أطراف الأدلة مثلا: يأخذ بدليل، ولا سيما إذا كان هذا الدليل يدل على حكم غريب، يأخذ به، ويدع ما سواه، ولا يرعوي

أو ينصاع إذا قيل له فكر في الأمر، انظر في الأدلة، انظر إلى خلاف جمهور العلماء مثلا، ولكنه لا يفكر، وهو أيضا يعامل إخوانه الدعاة هذه المعاملة، يجد أن غيره إذا خالفه، فهو على باطل، وهو الذي على الحق، كأنما يوحى إليه.

ولا شك أن هذا المنهج منهج غير سديد، فلا يجوز للإنسان أن يعتقد خطأ غيره، وأن الصواب معه في أمور تقبل الاجتهاد؛ لأنه إذا اعتقد ذلك فكأنما تنصب منصب النبوة والرسالة والعصمة، فالخطأ جائز على غيرك، هو جائز عليك، والصواب الذي تدعيه لنفسك يدعيه غيرك، وقد يكون الصواب مع غيرك، والخطأ معك، ومن ثم صار بعض الشباب الآن ينتمي إلى طائفة معينة، أو إلى عالم معين ينتصر له، ويأخذ بقوله، سواء كان صوابا أم خطأ، وهذا في الواقع مما يشتت الأمة، ويضعف العزيمة، ويجعل هؤلاء الشباب المقبل على الله محل هزء وسخرية لأهل الشر والسوء.

فالواجب علينا أن نكون كما أمر الله، بل أن نكون كما وصفنا الله {وإن هذه أمتكم أمة واحدة} وأن تكون كلمتنا واحدة، ولست أقول: إنه يجب أن يكون قولنا واحدا بمعنى أن لا يقع بيننا خلاف فيما يسوغ فيه الخلاف؛ لأنه هذا أمر لا يمكن، لكن أقول: إنه إذا وقع بيننا خلاف فيما يسوغ فيه الخلاف، يجب ألا يؤدي هنا إلى اختلاف القلوب، بل تكون القلوب واحدة، والموالاة بيننا قائمة، والمحبة ثابتة، ولو اختلفنا فيما يسوغ فيه الاجتهاد.

وأضرب لهذا مثلا، في مسألة تعتبر يسيرة بالنسبة للمهمات من الإسلام، كمسألة الجلوس في الصلاة عند القيام إلى الركعة الثانية، أو القيام إلى الركعة الرابعة، فإن من أهل العلم من يرى أنه سنة، ومن العلماء من يرى أنه ليس بسنة، ومن العلماء من يفصل، والخلاف في هذا مشهور، لكن إذا كان صاحبي ومشاركي في الدعوة، إذا كان يرى أن الجلوس سنة، وأنا لا أرى أنه سنة، وجلس ولم أجلس أنا، فهل يسوغ لنا أن نجعل من هذا الخلاف سببا لكراهة بعضنا بعضا؟! أو للتشهير أو للتشنيع؟ لا والله لا يسوغ، وإذا كان الصحابة – رضي الله عنهم – اختلفوا في أمر أكبر من هذا، وأهم

وأعظم، ولم ينفر بعضهم عن بعض، ولم يكره بعضهم بعضا .. فما بالنا نحن، يكره بعضنا بعضا من أجل هذه المسائل اليسيرة، بالنسبة لما هو أهم منها في الدين، ألم يعلم الكثير منا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة الأحزاب، وجاءه جبريل، وأمره أن يخرج إلى بني قريظة، لنقضهم العهد ندب أصحابه إلى الخروج إلى بني قريظة، وقال: "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"[1] فخرجوا من المدينة، فأدركتهم الصلاة، فمنهم من قال: لا نصلي إلا في بني قريظة، وأخروا الصلاة حتى خرج الوقت، ومنهم من قال: نصلي العصر في وقتها، وإن لم نصل إلى بني قريظة، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يعنف أحدا من الطائفتين، وهم بأنفسهم لم يكن في قلوب بعضهم على بعض شيء من الكراهة أو العداوة مع أن الخلاف هذا أشد من الاختلاف في الجلوس، عند القيام للركعة الثانية أو الرابعة، يعني هذا خلاف في إخراج الصلاة عن وقتها، أو الصلاة في وقتها، فالذي أرجوه من إخوتي الدعاة ألا يجعلوا هذه الأمور التي يقع فيها الاختلاف السائغ الذي يسوغه الاجتهاد، ألا يجعلوها سببا للفرقة والتحزب وتضليل بعضهم بعضا؛ لأن ذلك مما يضعف منصبهم أمام أعدائهم، وأنتم تعلمون أن هناك أعداء يتربصون الدوائر بالدعاة إلى الخير، ولكن من كان الله معه؛ فله العاقبة، وهو المنصور في الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالى: {إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد} (غافر: ٥١).

أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يجعلني وإياكم من أنصار دينه، والدعاة إليه على بصيرة، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

❖❖❖

---

(١) رواه البخاري، كتاب صلاة الخوف، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء، رقم (٩٤٦).